المجلة المغاربية للمخطوطات
المجلد 18 العدد 01 السنة 2022 ص ص 36-49
ISSN: 2170-1598
EISSN : 2600-6588

صناعة الفخار في الجزائر القديمة

Pottery in ancient Algeria

جميلة خالفي [1]

[1] جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة، الجزائر

d.khalfi@univ-dbkm.dz

مقدم بنت النبي [2]

[2] جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله، الجزائر

bentnebi@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2022/10/11 تاريخ القبول: 2022/12/29 تاريخ النشر: 2022/12/31

Abstract:

Pottery is among the oldest human activities. It dates back to the Neolithic, It was often a affair of women in rural and mountainous regions, It was rooted as a family tradition passed down through the generations, thanks to techniques that have remained practically the same. pottery has changed fashion and style without losing its original cachet. we will try in this article to define what are the characteristics of this rural industry, and what motivations?

المؤلف المرسل: خالفي جميلة

البريد الالكتروني: d.khalfi@univ-dbkm.dz

Keywords: Pottery ; Algeria ; Patrimony ; Roman period sigillata; Mauretania Caesariensis

الملخص:

تعد الصناعة الفخارية قديماً من الصناعات الريفية، التي عرفتها الجزائر منذ فجر التاريخ، وهي أيضاً تشكل موروثاً حضارياً تناقلته الأيدي وبخاصة النسوة في الأرياف عن بعضهن البعض، واهتمت بهذه الصناعة لكونها شكلت جزءاً من عملها اليومي في بيتها، وهو من المهن التي انتقلت من الريف الى ورش المدينة، وظلت تتناقلها الأجيال الى غاية يومنا هذا، وعليه سنحاول من خلال إشكالية موضوعنا هذا أن نتعرف على مدى اهتمام سكان الجزائر القديمة بهذه الصناعة، وكيف تمكنوا من الحفاظ عليها كموروث حضاري وثقافي تطغى عليه الصبغة الريفية في رسوماته وزخارفه لغاية يومنا هذا.

الكلمات المفتاحية: الفخار؛ الجزائر؛ الموروث الحضاري؛ الفترة الرومانية؛ الفخار السيجيلي؛ موريطانيا القيصرية.

1. مقدمة:

كانت الصناعة النسوية الريفية، تتسم بكونها تعتمد اعتماداً كلياً على الطينة الصلصالية والأيدي، على عكس الورشات التي انتشرت في العهد الروماني، التي تعتمد فيها الصناعة، على الأيدي والدولاب، وأحياناً حتى القوالب، خاصة حين يتعلق الأمر بصناعة الأقنعة على سبيل المثال.

تم تطوير تقنية الصنع الخزفي، واقتباس التقنيات الرومانية، للارتقاء بالإنتاج المحلي، والذي كان عبر الورشات ويتضح ذلك من خلال تحول الجزائر

ISSN: 2170-1598
EISSN : 2600-6588

القديمة، وبالأخص المنطقة الغربية أي موريطانيا القيصرية[1] من مستورد للخزف سيما السيجيلي إلى مصدر له.

قسم المؤرخين الخزف والمصنوعات الفخارية المخلفة منذ القدم، والتي تم العثور عليها في مختلف المواقع الأثرية، إلى صنفين: العادي والسيجيلي، وما يهمنا في هذه المقال هو العادي والذي سنتطرق إليه، غير أن ذلك لا يمنعنا من إلقاء نظرة ولمحة عن السيجيلي للتعرف على تلك المخلفات الأثرية وبالأخص الخزفية، التي يمكنها تعريفنا بنمط الحياة الريفية والاجتماعية، وإثراء معلوماتنا عن الجانب الاقتصادي وخاصة العلاقات التجارية؛ ويتميز فخار منطقة عن أخرى بجودة ونوعية الطينة الصلصالية، وطريقة شيها، وأناقة الأشكال وتنوع وجمال الزخارف[2] التي تعتبر موروثاً شعبياً تتناقله الأجيال، ورمزاً من رموز الهوية، يميز صناعة موقع ما عن غيره، وحتى تلك الخطوط والأشكال المرسومة والألوان المستخدمة تعبر عن معني وتتحدث عن تراث مروي عبر الأجيال.

2. الخزف العادي:

أو تلك المصنوعات الفخارية الريفية التي تصنعها النساء، وتتعلمها البنت عن الأم وتتوارثها النسوة عن بعضهن البعض، وهو العامل الذي ساهم في الإبقاء على هذه الصناعة لغاية يومنا هذا، وعموماً فتلك المخلفات القديمة، قسمها المؤرخين الى الأشكال المفتوحة، والأشكال المغلقة[3]؛ الأولى هي الصحون والقدور الخاصة بطهي الطعام، أما الثانية والمتمثلة في النياطل المتعددة الأشكال لكيل الخمر، الجرار"Dolia" المستخدمة في تخزين الحبوب ومختلف السوائل، وكذا الأمفورات "Amphorae"؛ غير أنه ينبغي الاشارة الى أن الأمفورات والجرار غالباً ما كانم يتم تصنيعها بالورشات، ولا يستبعد تصنيعها من طرف النساء إلا أن المؤكد

أن النسوة الريفيات، كن يصنعن ما يحتجنه لبيوتهن عموما، سواء كان أدوات الطهي والأكل أو حتى بعض ما يستخدم للتخزين، ويحتجنه لاستخدامات المنزل المختلفة.

ورغم أن ستيفان غزال"*Stéphane Gsell*"[4] أشار إلى أن الأواني المصنوعة من طرف النسوة الريفيات ، تعتبر هشة وسيئة في حفظ السوائل، إلا أنه لا يمكن الأخذ بهذا الرأي المجحف، لأنها نفس الأواني التي ظلت مستعملة وبذات طريقة الصنع في يومنا هذا، ولكنها ليست سيئة الحفظ ولا هشة، ويمكننا استخدامها لسنوات عدة، مادامت سليمة ولم تنكسر.

وحتى الزخرفة رغم بساطتها ورموزها التي تشير لأصالة وهوية المنطقة[5]، فقد رأى البعض أنها تم تقليدها، واعتبروا تشابهها مع فخار مناطق أخرى من قبرص ومصر نقلاً عنهم وتاثراً بهم[6]، غير أننا بالتأمل في تلك الزخرفة، نستطيع التاكد من أنها محلية، عن طريق تتبع رموز الزخفة التي زينت بها الأواني.

ويرى غابريال كامبس"*Gabriel Camps*"[7] أن من رسم على الصخور ليس بمستبعد عليه زخرفة الفخار، ويبدو ان الزخارف الفخارية لم تتأثر بأي تأثير خارجي وأنها ظلت على ما هي عليه منذ أواخر النيوليتيك، كما عرفوا الصباغ أيضاً منذ وقت مبكر[8]، حتى أن القفصيين قاموا بطلاء وتزيين أدواتهم بالأحمر.

ويمكن إحصاء مواقع الفخار المزخرف من خلال المخلفات الفخارية[9] التي عثر عليها إلى:

أ- مواقع بونوارة وقورارية، وهي تعود للفترة مابين أواخر القرن الثالث وأوائل الثاني قبل الميلاد.

ب- مواقع سيرتا وتيديس، سيلا، جبل مستيري، قلتة السطل قرب تبسة وسيدي الهاني، وهذه المواقع ترجع فخارياتها التي عثر بها عليهاإلى ما بين القرن الثاني والأول قبل الميلاد.

ISSN: 2170-1598
EISSN : 2600-6588

أما خلال العهد الروماني، فيمكننا ذكر بعض المواقع التي عثر فيها على نماذج للفخار العادي[10]، من خلال الجدول الآتي:

	الموقع	التاريخ
الأشكال المفتوحة	اولاد ميمون	أواخر القرن الرابع وبداية الخامس
	بطيوة	القرن الثاني
	سطيف	منتصف القرن الثاني
	شرشال	النصف الثاني والقرن الخامس
	تاكمبريت	القرن الثاني والنصف الثاني من القرن الأول
	تيبازة	منتصف القرن الثاني وبداية الثالث
الأشكال المغلقة	اولاد ميمون	القرن الرابع
	أربال	القرن الثاني أو الثالث
	بطيوة	القرن الثاني أو الثالث
	واد ارهيو	القرن الثاني أو الثالث
	حاسين	القرن الثاني أو الثالث
	مرسى مغراوة	القرن الثاني؟
	عيون سيبيا	القرن الثاني أو الثالث
	سطيف	النصف الأول من القرن الثاني
	شرشال	القرن الأول ؟
	تاكمبريت	القرن الثاني أو الثالث
	تيبازة	القرن الأول والثاني والثالث

ب- **السيجيلي "س"**: ظهر مع كثرة الطلب على السيجيلي "أ"، فاهتموا بالكية بدلاً من النوعية، ويختلف عن الأول بعدم طلاء الوجه، عجينته ذات لون وردي برتقالي يميل الى الوردي القاتم، وقد ظهر مع نهاية القرن الثاني الميلادي واستمر إلى الخامس الميلادي، عثر على عينات منه بشرشال، غليزان، سيدي حسني وتيارت.

ج- **السيجيلي "د"**: لون عجينته يميل للاحمرار، أشكالها ثقيلة، حوافها رقيقة، تطلى بطانتها باللون الأحمر الداكن ولا يطلى وجهها، وقد بدئ في تصنيعه مع القرن الرابع واستمر إلى غاية السابع الميلادي، عثر على بعض من العينات للسيجيلي، عثر على قطع منه بشرشال، تيبازة، تامنتفوست، سيدي بلعاتر وغليزان...

وعموماً فما يهمنا في هذه الورقة، وما سوف نحاول التركيز عليه، هو الصناعة الفخارية الريفية، وتلك التي تعد موروثاً ريفياً، صنعت بأنامل النساء، وكانت ولازلت حتى يومنا هذا، تنتشر بكل منطقة بأرض الجزائر حيث تستخدم مصنوعاته في البيوت للاستعمال اليومي وأيضاً للزينة والديكور، ومن أكثر مناطق الجزائر المحافظة على هذه الصناعة منطقة القبائل وبالأخص في المداشر والقرى الجبلية، حيث لايزال نمط العيش الريفي البسيط والصحي مسيطراً.

ويبدو من خلال الدراسات التي تمت على المخلفات الأثرية في مختلف المواقع الجزائرية، أنه يمكن التعرف على الآنية المحلية من المستوردة من خلال المادة الطينية وشكل الآنية ونوعيتها وزخرفتها، أو خلوها من الزخرفة .

كان الاستيراد من بلاد الإغريق قوياً طيلة الفترة البونية، واستمر حتى القرن الثاني قبل الميلاد، واتفق المختصون[11] أن فخاريات القرن السابع، السادس وحتى الخامس قبل الميلاد، مستوردة إما من بلاد الاغريق عن طريق صقلية أو

ISSN: 2170-1598
EISSN : 2600-6588

جلبت من الشرق عن طريق التجار الفنيقيين، لكن الاستيراد لم يمنع من تواجد واستمرارية الصناعة الفخارية البدائية بالجزائر، والتي ترجع أصولها إلى فجر التاريخ[12]، وهو الفخار الذي عثر عليه بقبور الطبقات الفقيرة للمجتمع، غير أن الاستيراد بدأ يقل مع نهاية الثاني وبداية الأول قبل الميلاد؛ ويلاحظ ان الصناعة الفخارية المحلية تكثفت وازدادت[13]، مع القرن الأول الميلادي وأصبحت تصدر، خاصة بعد تطور الخزف الافريقي السيجيلي، الذي يتميز بلونه الأحمر البرتقالي، وكان المزخرف منه هو المطلوب بكثرة.

وقد نقص الاستيراد كثيراً في القرن الثاني الميلادي، حيث لم يعثر في المواقع الأثرية الافريقية الا على القليل منه[14]؛ ويتضح من خلال اللقى الأثرية الجنائزية في القبور البونية النوميدية، أن الفخار المحلي[15] يتميز ببدائية الصنع والخشونة في الملمس، والسمك الكبير، وخاصة تلك المخلفات التي ترجع للقرن الرابع قبل الميلاد.

نذكر من بين اللقى المحلية في القبور البونية السيرتية، المسارج ذات المقابض، أواني حرق البخور وقارورات العطر[16]، ومن بين المدن الجزائرية التي اشتهرت بتصنيع الفخار تيديس نواحي سيرتا.

ويبدو أن الفخار المحلي لم يحظ بالدراسة الدقيقة التي تحدد تاريخه بدقة، وتعمل على تتبع زمن كل قطعة أثرية مثلما حدث مع الفخار الفينيقي والاغريقي، ويلاحظ أن التقليد في الفخار المحلي من خلال السبه الذي بدا على بعض الفخاريات، التي عثر عليها في بعض مناط الجزائر، كالأواني الفخارية الجنائزية والتي تمثل الصناعة المحلية المقلدة للفخار الفنيقي الاغريقي.

وقد عثر عليها بكثرة في قبور المستوطنات البونية بالجزائر؛ ومن أكثر فخاريات الجزائر المحلية الصنع في قبور قورايا(قرب سيدي ابراهيم) وجيجل والتي صنعت من الطين المحلي العادي، الأواني المسطحة المستخدمة في حرق البخور، الأقداح والجرار الصغيرة؛ كما عثر بها على فخاريات سميكة الشكل وطينتها رديئة[17]، وأغلبها أواني ذات أشكال مفتوحة، ويلاحظ أنها مصنوعة باليد مما يثبت محليتها.

* بعض النماذج الفخارية المحلية :

أواني فخارية محلية للاستخدام اليومي متحف تيبازة

المجلة المغاربية للمخطوطات
المجلد 18 العدد 01 السنة 2022 ص ص 36-49
ISSN: 2170-1598
EISSN : 2600-6588

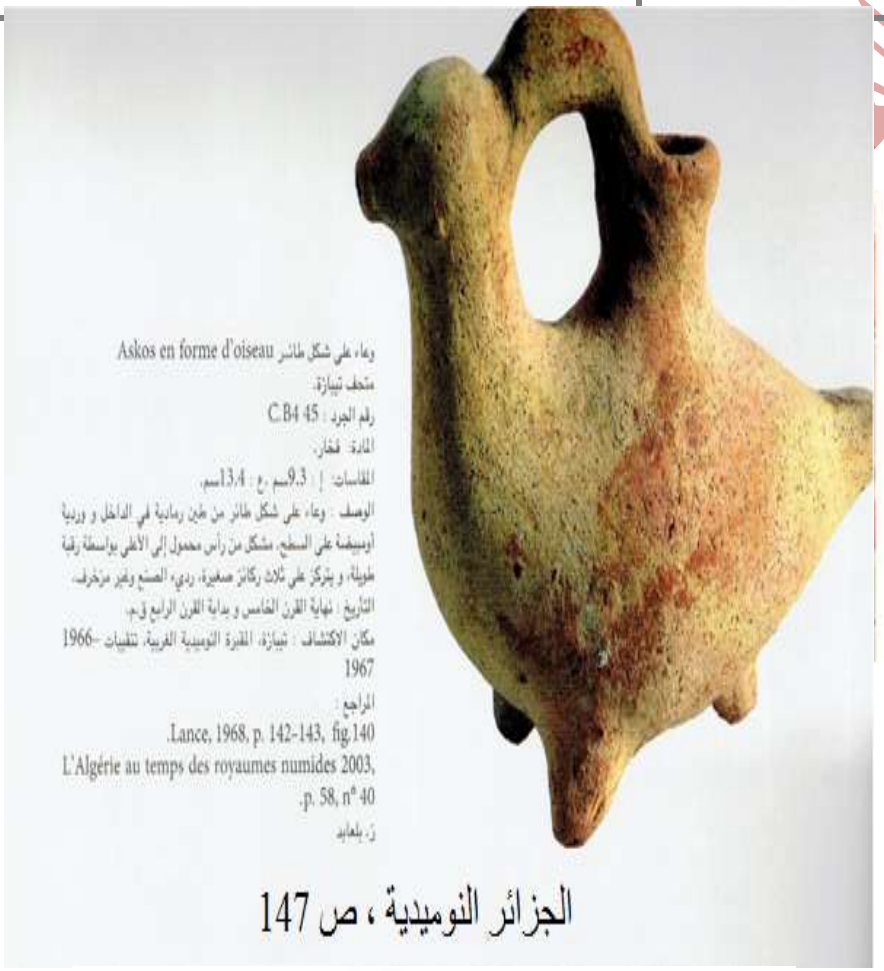

الجزائر النوميدية ، ص 147

وعاء للسوائل أو رضاعة
فخار محلي ، ق 3 ق.م
متحف الآثار القديمة

آنية مزخرفة، فخار محلي،
ق 3 ق.م ، قورايا
متحف الآثار القديمة

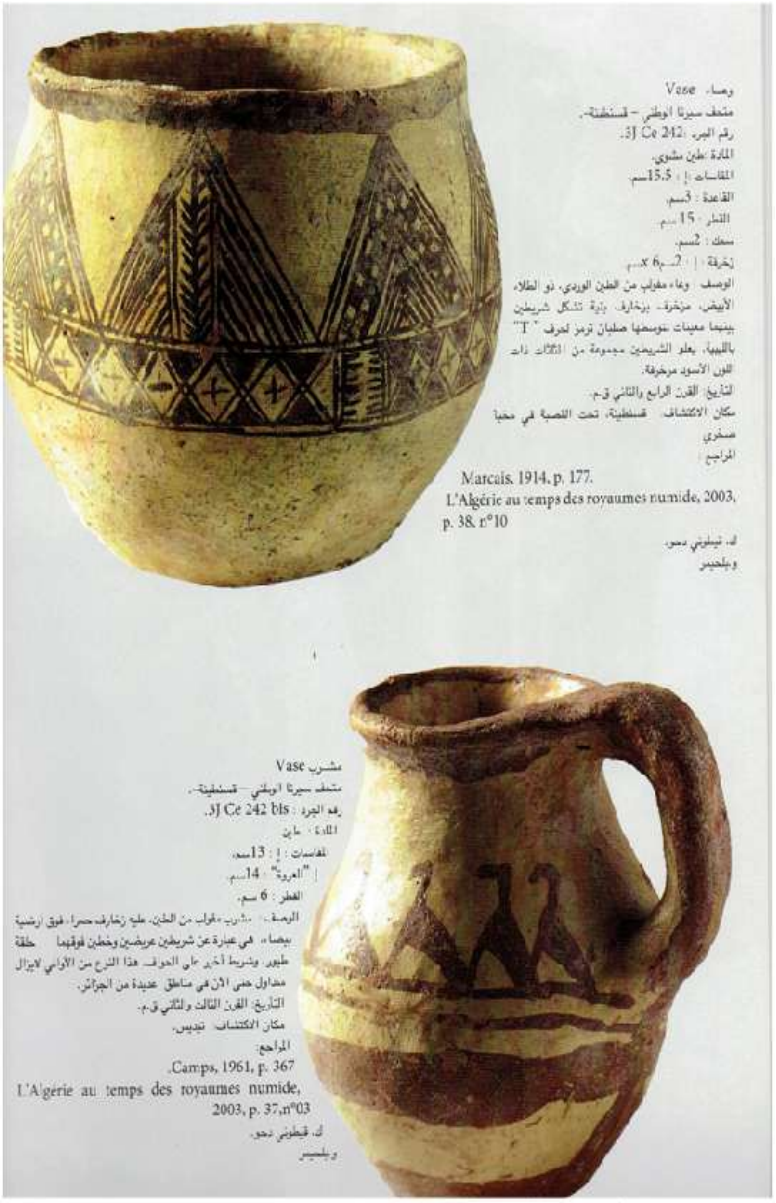

مصنف الجزائر النوميدية، متحف سيرتا بقسنطينة، 2007

ISSN: 2170-1598
EISSN : 2600-6588

4. الخاتمة:

لعبت الصناعة الفخارية دوراً كبيراً في حياة الأقدمين، لكونهم استخدموا الأواني الفخارية في الحياة اليومية لاستخداماتهم العادية، وصنعوا الجرار الكبيرة لتخزين ونقل المحاصيل سواء كانت صلبة أو سائلة، والأمفورات الصغيرة للعطور، ناهيك عن الأدوات والأواني المختلفة الاستعمالات للطهي، الأكل والشرب، والتماثيل المخصصة للاستخدام الديني والجنائزي؛ وعموماً تختلف وتتنوع أغراض استخدامه باختلاف نوعية وأشكال صنعه، وحتى بحسب الموقع والمنطقة التي تصنع فيها الآنية الخزفية.

لعل قيمة هذه الصناعة وأهميتها ترجع لكونها استمرت عبر العصور، ومازالت حتى يومنا هذا، وكانت ولا تزال من بين الصناعات المرغوبة والمطلوبة وبخاصة الأواني الخزفية، التي لا يستغني عنها أي بيت من بيوتنا، كما يلاحظ في التقليدية منها محافظتها على الرسوم والأشكال التي زينت بها، وهو ما يرمز لأصالة هوية الشعب، وحفاظ المنطقة على موروثها الثقافي رغم مختلف التحديات واستمرارية التطورات.

5. الهوامش:

[1]- خديجة منصوري، التطورات الإقتصادية لموريطانيا القيصرية أثناء الإحتلال الروماني، أطروحة دكتوراه دولة تحت إشراف محمد البشير شنيتي، 1995 – 1996، ص 181

[2]-منى يوسف نخلة، علم الآثار في الوطن العربي، منشورات جروس برس،طرابلس- لبنان، ص142

[3] -Lancel(S), Tipasitana IV : La nécropole romaine occidentale de la porte de Cesarée, B.A.A,IV,1970, pp 450-460 ; Leveau(PH), Caesarea de Maurétanie, une ville romaine et sa campagnes,éd., de Boccard, 1984, pp 456-460 ; خديجة منصوري، المرجع السابق ، ص 181 – 194

[4] - Gsell(S), HAAN, T.VI, p 64 ; محمد الهادي حارش، مملكة نوميديا دراسة حضارية، دار هومة، الجزائر، 2013، ص 160

[5] - Picard (G.-Ch) , La civilisation de l'Afrique romaine, 2ème éd., Paris, 1990, p 76-78

[6]-محمد الهادي جارش، المرجع السابق، ص 162

[7] - Camps (G), Recherches sur l'antiquité de la céramique modelée et peinte en Afrique du Nord, Libyca , T. 3,1955, p 350-351

[8]-محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص 163 – 164

[9]- نفس المرجع، ص 165

[10]-خديجة منصوري، المرجع السابق، ص 183 – 189

[11] محمد الصغير غانم، معالم التواجد الفنيقي البوني في الجزائر،عين مليلة – الجزائر، 2003، ص 152 . Cintas(P), Céramique punique. Paris, C. Klincksieck, 1950

[12]- محمد الصغير غانم، سيرتا النوميدية، النشأة والتطور، دار الهدى، عين مليلة- الجزائر، 2008 ، ص 87.

[13] - Zevi(F), Tchernia(A), Amphores d'Afrique proconsulaire au Bas-Empire, Ant. Af., 3, 1969, pp 173-214 ;

محمد العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الافريقي القديم، عين مليلة- الجزائر، ص 122

[14] - Picard (G.-Ch) , op.cit, p 79

[15] -Camps(G), La Céramique des sépultures berbères de Tiddis, Libyca, IV, 1956, p 154-180 ; Février(P), Les origines de l'habitat urbain en Maurétanie Césarienne, Journal des savants, 1967, p 114-

ISSN: 2170-1598
EISSN : 2600-6588

116 ; Berthier(A), La Numidie , Rome et le Maghreb, Paris, 1981, p 165 .

[16] محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص 90 ; Gsell(S), HAAN, VI, p 83 ; Berthier(A), op.cit, p 163

[17] - محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص 125 ; Cintas(P), op.cit, p 490 ;

المجلة المغاربية للمخطوطات

قائمة المصادر والمراجع:

- محمد الصغير غانم، معالم التواجد الفنيقي البوني في الجزائر،عين مليلة – الجزائر، 2003
- خديجة منصوري، التطورات الإقتصادية لموريطانيا القيصرية أثناء الإحتلال الروماني، أطروحة دكتوراه دولة تحت إشراف محمد البشير شنيتي، 1996
- محمد الصغير غانم، سيرتا النوميدية، النشأة والتطور، دار الهدى، عين مليلة- الجزائر، 2008
- محمد العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الافريقي القديم، عين مليلة- الجزائر،
- محمد الهادي حارش مملكة نوميديا دراسة حضارية دار هومة، الجزائر 2013
- منى يوسف نخلة، علم الآثار في الوطن العربي، منشورات جروس برس، طرابلس- لبنان
- Lancel(S), Tipasitana IV : La nécropole romaine occidentale de la porte de Cesarée, B.A.A,IV,1970
- Camps (G), Recherches sur l'antiquité de la céramique modelée et peinte en Afrique du Nord, Libyca , T. 3,1955
- Picard (G.-Ch) , La civilisation de l'Afrique romaine, 2ème éd., Paris, 1990
- Zevi(F), Tchernia(A), Amphores d'Afrique proconsulaire au Bas-Empire, Ant. Af., 3, 1969
- Cintas(P), Céramique punique. Paris, C. Klincksieck, 1950
- Gsell(S), HAAN, T.VI,
- Lancel(S), Tipasitana IV : La nécropole romaine occidentale de la porte de Cesarée, B.A.A,IV,1970
- Leveau(PH), Caesarea de Maurétanie, une ville romaine et sa campagnes,éd., de Boccard, 1984, pp 456-460 ;